ســــلوك الســــلوك

مقدمة فى اسس التحليل السلوكى
ونماذج من تطبيقاته

د. عبد العزيز بن عبد الله الدخيل

عرض

أ. د. عبد الستار إبراهيم

استاذ علم النفس
كلية الطب — جامعة الملك فيصل
الدمام — المملكة العربية السعودية

لا شك أن المكتبة العربية تعانى من نقص خطير فى الكتابات التى تعالج بشكل موضوعى ومتعمق الجوانب التحليلية والتطبيقية من النظرية السلوكية . فاغلب ما كتب باللغة العربية عن النظرية السلوكية كتب من وجهة نظرية خالصة وكجزء من نظرية التعلم عندما يعرض لها المؤلفون فى كتب علم النفس العام .

ولهذا يجيء كتاب عبد العزيز الدخيل ليسد احتياجا حقيقياً فى هذا الموضوع . والكتاب فيما يقول المؤلف يهدف « إلى اعطاء تعريف موجز عن حركة التحليل السلوكى فى علم النفس ، نظرا لما تقدمه هذه الحركة من إسهامات مهمة فى علم النفس على جميع مستوياته التحليلية والتقنية ، وفى جميع فروعه وميادنيه [ص ٥] » . ونعرف من الكتاب أن حركة التحليل السلوكى بدأت فى الثلاثينيات من هذا القرن بأبحاث « سكينر Skinner التى كان من أهمها آنذاك مؤلفه سلوك الكائنات الحية (سنة ١٩٣٨) .

يتكون الكتاب الذى نحن بصدده من جزئين ، يستعرض الجزء الأول أسس التحليل السلوكى ، ويتضمن ثلاث فصول يتعرض كل منها للعناصر الثلاث الرئيسة التى تساهم فى إحداث سلوك معين . ونحن نعرف من خلال هذه الفصول الثلاثة (أى سلوك ما قبل السلوك ، وسلوك ما بعد السلوك) أن الإهتمام بتحليل أى حادثة سلوكية لفهمها أو للتحكم فيها (من أجل أغراض العلاج أو الضبط) يتطلب أن ننتبه إلى :

١ — ما يحدث قبل السلوك من مثيرات تؤدى إلى حدوثه ، أو تهيىء الفرصة لحدوثه وتشتمل هذه المثيرات على أى حدث يصدر من البيئة المحيطة

---

* صدر هذا الكتاب عن مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ١٩٩٠م ، وهو من تأليف د. عبد العزيز بن عبد الله ، ويعرضه الاستاذ الدكتور / عبد الستار ابراهيم ، استاذ علم النفس ، كلية الطب — جامعة الملك فيصل ، الدمام ، المملكة العربية السعودية

بالشخص أو من داخل جسمه وترتبط بظهور سلوك معين .

٢ — ما يحدث عند ظهور السلوك نفسه أى عند ممارسة النشاط الذى نلاحظه .. وهنا يبين لنا المؤلف أن أداء نشاط سلوكى معين قد يؤثر على أنواع أخرى من السلوك سلبا أو إيجابا فقد يسهل تعلم أنواع جديدة لم تكن ضمن الذخيرة السلوكية من قبل كما يحدث مثلا عند تعلم اللغة أو القراءة أو الكتابة .

٣ — ما يحدث بعد ظهور السلوك .. وهو فيما نعرف من النظرية السلوكية من أهم العناصر التى يجب الأهتمام بها عند ملاحظة اى سلوك . فالذى ينتج عند ظهور السلوك من تدعيمات خارجية أو انتباه أو تجاهل .. الخ يعتبر من اهم العناصر التى يجب الإهتمام بها عند القيام بتحليل أى جانب من جوانب السلوك البشرى .

ومن المعروف الآن أن تحديد اللواحق أو المتوقفات[1] Contingen-cies (أى المعززات التى تحدث عند ظهور سلوك معين) يعتبر من القواعد الرئيسة فى تدريب المعالجين لتمكنهم من التحكم فى الجوانب السيئة (المرضية) من السلوك بين الأطفال والبالغين .

الآن وقد اكتملت القواعد الرئيسية للتحليل السلوكى ينتقل بنا المؤلف بيسر لميدان التطبيقات موضحاً وجهة النظر السلوكية فى فهم عدد من الظواهر السلوكية ومعالجتها بما فى ذلك الأمراض العقلية ، والإساءة للأطفال ، والإدمان والذكاء والرؤية ، والأداء (الوظيفة والعمل) ، وسلوك الحيوان .

وقد تميز المؤلف بعرضه لهذه الجوانب التطبيقية بخصائص فريدة نذكر منها ما يأتى :

١ — الإتقان الشديد فى استعمال المفاهيم والأدوات السلوكية خاصة تلك التى تنضوى تحت مظلة سلوكية سكينر واتباعه من علماء التحليل السلوكى[2] ولا شك أن تخصص المؤلف وتعليمه قد ساعداه على ذلك ، فهو حاصل على دكتوراه الفلسفة فى العلاج السلوكى . وقد بلغت صراحة المؤلف فى ذلك درجة جديرة بالإعجاب .. إذ تميز الكتاب من أوله إلى نهايته بمنحى فلسفى واحد مصطلحات ومفاهيم موحدة تدل بوضوح على أن المؤلف قد جاهد ونجح فى الانفكاك من أسر المفاهيم التقليدية فى علم النفس يصعب على غير المتقن لصناعته أن ينفك منها .

٢ — القدرة على مخاطبة أكثر من مستوى من القراء . والكتاب بهذا المعنى يفيد المتخصص . والقارىء العام كليهما . صحيح أن القارىء العام قد يجد بعض الجهد فى متابعة الفصول الثلاثة الأولى التى يبسط فيها المؤلف القواعد النظرية الرئيسة للتحليل السلوكى ؛ إلا أن الفصول الأخرى ترفق به ، وتعيده إلى المظلة السلوكية بيسر . وفى يقينى أن القارىء العام قد يقرأ الفصول الثلاثة الأولى بسهولة أكثر لو بدأ فى قراءة الأجزاء الأخرى أولا لينتقل بعدها للفصول الثلاثة الأولى .

وبالرغم من المزايا الواضحة لهذا العمل فإن هناك بعض الملاحظات التى نرجو أن يراعيها المؤلف فى الطبعة الثانية . فبالرغم من قدرة المؤلف على تطويع اللغة العربية لاستيعاب هذا المجال الجديد من التخصص ، فإن بعض عناوين الفصول تميزت بشىء من الإغراب .. وإن كنت أدرك رغبته فى أن يؤكد تياراً من التفكير أو أن يدعو بنوع من الصلابة لاتجاه فلسفى .. فإننى أرى أن عناوين بعض الفصول وعنوان الكتاب نفسه قد يجعلان بعض القراء يعزف عن الكتاب . صحيح أن المؤلف قد تنبه لذلك وأشار فى مقدمته إلى أن العنوان الغريب للكتاب « يؤكد على فلسفة الكتاب وينبىء عن مضمونه » إلا أننا نظن أن قطاعاً كبيراً من القراء قد يجد نفسه محروماً من المحتوى الجيد لهذا الكتاب بسبب تلك الغرابة . ومن ناحية أخرى ، فإن تأكيد كلمة « سلوك » فى عنوان كل فصل تقريباً ، يمكن أن تتم بدونها على أساس أن هذا كتاب فى السلوكية .. ويعرف القارىء بداهة أنه سيتعرض لوجهة النظر السلوكية عند عرض أى موضوع من الموضوعات دون حاجة إلى تأكيدها بشكل مباشر ، ومن الناحية التنظيمية كنت أتمنى أن يوضع الجزء الثانى من الكتاب (التطبيقات) كالجزء الأول منه فى شكل فصول بدلاً من وضعه فى شكل أجزاء وأبواب وفصول .

على أن الملاحظات لا تقلل من أهمية هذا الكتاب . ونوصى من ناحيتنا به لطلاب علم النفس ومتخصصيه ودارسيه خاصة تلك الطائفة التى تود التعرف على الاتجاه السلوكى وتحب أن تعرف المزيد عن التحليل السلوكى باللغة العربية .

---

1 — Contingencies
2 — Behavior Analysis